طقوس جديدة في مدارسنا مع نهاية الموسم الدراسي

تراشق بالبيض وتحطيم للطاولات والكراسي وكتب ممزقة في الشوارع

تعرف عدد من مدارس الوطن، في السنوات الأخيرة، ظاهرة غريبة ودخيلة على المنظومة التربوية الجزائرية، خاصة بين التلاميذ في الطور المتوسط والثانوي، فما إن تنتهي امتحانات الفصل الأخير، يطلق الكثير من التلاميذ العنان لسلوكات عدوانية وعنيفة، كتخريب أجهزة المؤسسة وخروجهم أمام المؤسسات والقيام بتمزيق الكراريس والكتب ورميها بشكل عشوائي مع التراشق بالبيض والطماطم أمام دهشة الجميع.

عليان سمية

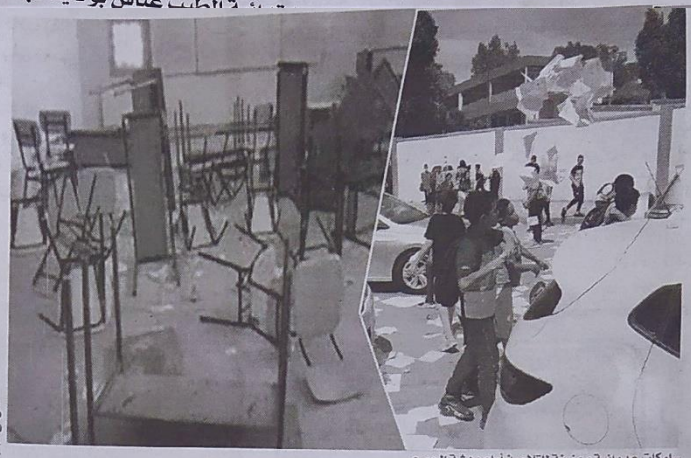

سلوكات عدوانية وعنيفة للتلاميذ أمام دهشة الجميع

• عرفت الكثير من المحلات التجارية والمساحات الكبرى توافدا لاقتناء البيض من طرف التلاميذ المتمدرسين في مؤسسات قريبة منها، أين أكد أحد أصحاب هذه المحلات بأنه لاحظ سرعة في نفاد مخزون البيض الذي يستعمله التلاميذ في التراشق فيما بينهم.

وتجاوزت الأمور الانتقام حتى برمي الأساتذة والموظفين، بدليل أن أحد الأساتذة قدم إلى المحل لاقتناء قارورة ماء حتى يغسل أثر البيض على ملابسه من جراء إصابته من طرف التلاميذ.

ومع الخروج من آخر حصة يكون مصير الدفاتر والكتب الحرق وسلة المهملات، وهي ظاهرة تكرست حتى في الأحياء أمام أعين الأولياء، غير أن هذه الظاهرة نادرة في الوسط شبه الحضري والبلديات الصغيرة. ع.س

المختص في علم الاجتماع توفيق زروقي

"التلاميذ يشعرون أنهم في محيط إكراهي"

• يقول الأستاذ توفيق زروقي، أستاذ علم الاجتماع بجامعة تبسة، أن ظاهرة تمزيق الكراريس والكتب لدى تلاميذ الأطوار التعليمية المختلفة، إلى جانب بعض الممارسات الاحتفائية لدى التلاميذ من كل سنة أمام أبواب المدارس،

تعتبر تلك الصورة الذهنية التي أصبح التلاميذ يحملونها عن المدرسة، بوصفها فضاء إجباريا لامتاص منه، فضاء يرمز إلى جملة من الإكراهات التي يشعر التلاميذ بعدم واقعيتها وارتباطها بالحياة، فضاء لتحقيق رضا الوالدين ورضا المجتمع فقط. وإلا كيف نفسر محاولات الانتحار والهروب لدى شريحة واسعة من التلاميذ ذكورا وإناثا من حالات الفشل والإخفاق التربوي.

فهم اليوم، وبالرغم مما يكتنف المدرسة من ممارسات لا تعبر عن كياناتهم وفردانيتهم المشبعة بمتغيرات ترتبط بالفضاءات الإلكترونية من وسائط تواصل اجتماعي وإعلامي، وما تحمله من محتويات اغترابية أيضا، يجدون أنفسهم ملزمين بتمثل نظامها واجتياز امتحاناتها، مما أدى إلى تغير صورة المدرسة النمطية في الخيال الاجتماعي للأجيال الناشئة.

وهو عكس ما يحمله الأولياء من صور للمدرسة في خيالهم الاجتماعي، أين كانوا هم بدورهم يحتفلون بتخرجهم لدى حصولهم على شهادات اجتياز مرحلة من المراحل التعليمية بما فيها الجامعية، ولا يزال أيضا كممارسات إلى اليوم مع اختلاف بعض الطقوس، كطقوس الاحتفاء باجتياز شهادة البكالوريا التي أصبحت تضاهي في أحيان كثيرة طقوس الاحتفاء بمراسيم الزواج.

الأستاذ توفيق زروقي

ومن ثمة فهذه الظاهرة بقدر ما تعبر عن رفض اجتماعي للمدرسة ومناهجها وممارستها، فإنها تعبر عن شكل من أشكال الصراع بين الأجيال.

ويضيف ذات المتحدث، إلى جانب ذلك فلابد من الاعتراف أيضا أن هذا السلوك يجسد ويعبر عن تغير اجتماعي حاصل بمجتمعنا، فالرمزية التي كانت تتمتع بها المدرسة تأثرت بالمناخ المدرسي الذي أصبح يسودها، والذي تغير بشكل واضح سيما بعد ظهور نظام لا رسمي مواز لها من تعليم خاص غير رسمي أصبح يفرض نفسه بكل قوة، وينازع المدرسة التقليدية سلطتها السوسيوتربوية الرمزية.

ومن ثمة أصبحت المدرسة وإلى درجة ما بنظامها السائد شكلية وفق تحليل نظرية الشكل، مما يجعلها عبءا يحمله التلاميذ وفقا لالتزام صوري سرعان ما يؤدي بهم على إثر انتهاء كل سنة دراسية، إلى إعلان حالة فرح هستيرية بتمزيق الكراريس وإلى غيرها من الممارسات التي تعبر في جوهرها عن الارتياح من العبء السنوي الذي يحملونه على مضض وعلى إكراه.

حتى أن بعض الأولياء أصبحوا يجدون صعوبة في مساندة ومتابعة أبنائهم، مما يجعلهم أكثر قابلية واستعدادا لمرافقتهم ماديا فقط، من خلال إدماجهم في منظومة لا رسمية تتعلق بنظام مدرسي مواز.

ودونما أن ننسى أيضا تداعيات جائحة كوفيد 19، والتي أدت في مرحلة ما إلى غلق المدارس ومحاولة الاعتماد على طريقة التعليم عن بعد، والتي أثبتت فشلها وربما هذا الذي تعكسه النتائج الهزيلة على الرغم من محاولة رأب هذا الصدع من خلال اللجوء إلى اعتماد معدلات دنيا.

وهذا الذي من شأنه، حسب تقرير البنك الدولي حول تأثير الجائحة على التربية والتعليم في أنحاء العالم والصادر بتاريخ 22 جانفي الفارط، يدق فيه ناقوس الخطر من تأثير ذلك على رأس المال البشري للدول، سيما منها النامية والفقيرة مستقبلا، وسيما المستقبل الاقتصادي لهذه الدول.

وكخلاصة على ذلك وجب في الحقيقة مراجعة هذا الانقلاب في الصورة وفي مخيال الأجيال الناشئة، وإعادة صياغة المشهد (نظرية الشكل) سواء فيما تعلق بالمناهج أو الممارسات البيداغوجية، وحتى تكوين المكونين وطرق الانتقاء والتوظيف، وجعل المدرسة هي الحياة وليس سجنا للتلميذ وسجنا لملكاته وقدراته، وإنما فضاء لاكتشاف مواهبهم وإبداعاتهم بكل حرية ومسؤولية.

ع. سمية